وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة السابعة عشرة

القـــــرآن العظيــــــم

ما زلنا عباد الله مع النور والحكمة، مع الأخلاق والأسوة الحسنة، مع سيرة المصطفى ﷺ.

فبين نفحات العطر، وومضات الإشراق، وصلنا بفضل الله تعالى إلى الخطبة التاسعة والعشرين من سيرة عظيم الأخلاق سيدنا محمد ﷺ.

وها نحن وقد دخل حبيبنا ﷺ المدينة المنورة، وبدأ في إرساء الدعائم التي تقوم عليها دولة الإسلام، وقلنا إنها دعائم ثلاث:

- علاقة الأمة بربها.
- علاقة الأمة ببعضها.
- علاقة الأمة بالأجانب عنها ممن لا يدينون بدينها.

أما علاقة الأمة بربها فقد تكلمنا عن المسجد وتأثيره في المجتمع الإسلامي، وما زال الكلام عن الدعامة الأولى وهي، **علاقة الأمة بربها:**

وتتمثل في كلام الله في **القرآن الكريم**، ذلك الكتاب المترل على خاتم الأنبياء ﷺ بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، لا يتطرق إلى ساحته نقص ولا إبطال ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ** ﴾[فصلت: ٤١ – ٤٢]، هو المعجزة العظمى، والحجة البالغة الباقية على وجه الدهر لرسول الله ﷺ، فهو كتاب العربية الأكبر، كتاب الهداية الكبرى، وهو الكتاب الذي حارب التقليد، ودعا إلى النظر، والتفكر، والتأمل في الكون، هو الذي فتح الباب

للعلوم التجريبية، هو الذي حارب العنصرية والعنجهية الجاهلية، هو الذي كوَّن أمة مثالية فاعتنت هي بدورها بالقرآن الكريم، فقد كان النبي ﷺ شديد العناية به، وبحفظه، وبتحفيظه الصحابة رضي الله عنهم، وكان من شدة عنايته أنه حين كان جبريل عليه السلام يترل عليه بالقرآن يحرك لسانه خوفًا ألا يحفظه، فقال له تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]، وعلّم النبي ﷺ الأمة أن كتاب الله هو علاقة الأمة بربها، فهو الينبوع الصافي، هو الأساس المتين الذي تُبنى عليه أمة الإسلام.

فتعالوا معي عباد الله في رحلة مباركة مع القرآن الكريم، كلام الله الذي جعله نبراسًا ومنهاجًا للعالمين، مع هذا الكتاب الذي يرفع الله به أقوامًا ويضع آخرين[1]، تعالوا معي ننظر العناية الفائقة بهذا الكتاب العزيز:

- القرآن هو كلام الله أي صفة من صفاته.
- وكان القرآن ثابتًا موجودًا في اللوح المحفوظ قبل نزوله، يقول تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾[البروج:٢١–٢٢]، واللوح المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان وكل ما يكون.
- ثم نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، كما أُثر عن ابن عباس رضي الله عنهما: **"أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ"**[2]، وكان النازل به جبريل عليه السلام، فألقاه على الملائكة السفرة البررة فقيدوه في صحفهم المكرمة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[القدر: ١]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ

[1] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨١٧).

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٨٧٩)، وصححه الذهبي في تلخيصه، وقال ابن كثير رحمه الله في فضائل القرآن (٣٦): إسناده صحيح.

﴿مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، ويقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس: ١١ – ١٦]، ثم أذن الله تعالى أن يهدي

البشرية، فأنزله على سيدنا محمد ﷺ متفرقًا، وهذا هو النزول الثاني، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: ١]، وهذا النزول الثاني كان منجمًا مفرقًا على حسب الوقائع والأحداث، وكان يتلقى الرسول ﷺ الوحي بأكثر من حالة، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**"[1]، وتقول أمنا عائشة رضي الله عنها: "**فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ ذِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**"[2].

فقد كان الوحي يأتي الرسول ﷺ في حالتين:

الحالة الأولى: فيها ينسلخ النبي ﷺ من حالته العادية إلى حالة أخرى، يحصل له استعداد لتلقي الوحي من جبريل عليه السلام، وفي هذه الحالة قد يسمع ﷺ صوتًا شديدًا كصلصلة الجرس في صوت لا يدركه أول ما يسمعه ثم بعد فترة يدركه ويسمعه، "**وَالْمُرَادُ أَنَّهُ صَوْتٌ مُتَدَارِكٌ يسمعه، ولا يبين له أَوَّلَ مَا يَسْمَعُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ بَعْدُ، وَقِيلَ: هُوَ صَوْتُ خَفْقِ أَجْنِحَةِ الْمَلَكِ، وَالْحِكْمَةُ فِي تَقَدُّمِهِ أَنْ يَفْرُغَ سَمْعُهُ لِلْوَحْيِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ مَكَانًا لِغَيْرِهِ**"[3]، وأحيانًا في هذه الحالة يسمع الحاضرون صوتًا كدوي النحل[4] ويثقل جسم النبي

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٣٣).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٣٣).

[3] **الإتقان في علوم القرآن** (١/١٦٠)، لجلال الدين السيوطي رحمه الله.

[4] رواه الترمذي رحمه الله في سننه (٣١٧٣)، وصححه ابن العربي رحمه الله في **أحكام القرآن** (٣/٣١١)، وضعفه الألباني رحمه الله في **ضعيف الجامع** (٤٣٥٢).

ﷺ في هذه الحالة حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك[1]، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد ترضها[2] ويتصبب عرقًا، يقول سبحانه: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾[المزمل: ٥]، هذه هي الحالة الأولى، وهذه هي الحالة التي نزل بها القرآن.

الحالة الثانية: وهى أن يتحول جبريل عليه السلام من الصورة الملائكية إلى صورة البشر، كما في حديث جبريل في آخره: " **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**"[3].

إذن عباد الله فالقرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا من السماء الدنيا إلى الرسول ﷺ حسب الأحوال والحوادث.

وقد يقول قائل لِمَ لَمْ يترل الله القرآن على نبيه مرة واحدة؟!

والرد على ذلك: أولًا أن نعلم أن لكل فعل يفعله الله في كونه له حكمة بالغة، أو أكثر من حكمة، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها، والحكم هي:

١. تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية قلبه، وطمأنته بكثرة نزول الوحي، وإشعاره بمبة الله تعالى عليه: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا** ﴾[الفرقان: ٣٢].

٢. تيسير حفظه وفهمه على النبي ﷺ وعلى الصحابة رضي الله عنهم.

٣. التدرج في تربية الأمة، فترول الآيات بالتدرج؛ بانتزاع العقائد الفاسدة كعبادة الأصنام، وتثبيت العقائد الصحيحة، كذلك التدرج في انتزاع العادات الضارة السيئة، فلو نزل القرآن جملة واحدة ألا يشربوا الخمر، ولا يلعبوا الميسر، ولا يعبدوا الأصنام، وكثير من النواهي مع كثير من الواجبات؛ لعجزوا، وملوا، وفُتِنُوا، ولكن التدرج يربيهم، فعلى

---

[1] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٢٧٥٧٥) ، ولفظه: "إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْمَائِدَةُ كُلُّهَا، فَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَدُقُّ بِعَضُدِ النَّاقَةِ"، وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في **عمدة التفسير** (٦١٩/١): إسناده صحيح.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٨٣٢).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨).

سبيل المثال: عندما أراد الله أن يجرم ويمنع المسلمين من شرب الخمر لم يحرمها سبحانه مرة واحدة، فنزلت أولا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[البقرة: ٢١٩]، فالإثم معروف، وكذلك المنافع كالبيع، والشراء، والربح، فشربها قوم وتركها آخرون، ثم أنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء: ٤٣]، فكانوا يتركونها عند الصلوات والأوقات القريبة منها، وبذلك صار سهلا عليهم تحريمها نهائيًا، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة: ٩٠].

٤. كذلك مجاراة الحوادث والنوازل، يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان: ٣٣]، فبَيَّنَ القرآن الكريم حكم الأقضية والوقائع، ويبين، ويحذر، ويخطئ، ويصوب مع الأحداث والحوادث.

٥. كذلك تبين أنه من عند الله، فإنك لو نظرت إلى مؤلفات البشر؛ لوجدت المؤلف يكون تأليفه في آخر حياته أحكم، وأدق، وأحسن من أول حياته، ولكن القرآن الكريم ليس من كلام البشر، فأوله كآخره في الإتقان، والإعجاز، والقوة، والفصاحة، والبيان.

ونزل القرآن الكريم، وأتم الله تعالى النعمة على رسوله ﷺ، وكان أول ما نزل: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[العلق: ١][1]، وآخر ما نزل: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٨١][2].

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٥٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠).

[2] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (١٢٠٤٠)، قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (٦/٣٢٧): [روي] بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

وكان منه المكي ومنه المدني، فالسور والآيات التي أنزلت على رسول الله ﷺ قبل الهجرة وأثناء الهجرة تسمى آيات مكية، والتي أنزلت على النبي ﷺ بعد الهجرة تسمى الآيات المدنية حتى لو نزلت سورة في سفره أو نزلت في مكة، فالعبرة ليست بالمكان، ولكن العبرة بالهجرة وما بعدها.

ثم **جمع القرآن الكريم**، وإذا نظرت لما قيل وما سوف يأتي إن شاء الله؛ لفقهت قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، **وتم الجمع بأطوار ثلاثة:**

- جمعه في عهد النبي ﷺ.
- جمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- جمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أولًا: جمعه في عهد النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يجتهد في حفظه، قال له الله تعالى لما وجده يحرك لسانه حالة قراءة جبريل عليه السلام: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة:١٦-١٩]، وحَفَّظَ النبي ﷺ القرآن للصحابة رضي الله عنهم فجعلوه مسلاهم في فراغهم، ومتعبدهم في ليلهم، وقائدهم في حياتهم، يقول عنهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، ولم يكتف النبي ﷺ بحفظ القرآن وإقرائه للصحابة رضي الله عنهم وحفظهم له، بل جمع إلى ذلك كتابته وتقييده في السطور.

وكان للنبي ﷺ كُتّاب يكتبون الوحي؛ منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبان وخالد ابنا سعد، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وغيرهم رضي الله عنهم، فكان إذا نزل عليه شيء من القرآن؛ دعا بعضهم فيأمرهم بالكتابة، ويرشدهم إلى موضع الآية، فقرئ القرآن الكريم كله بين يدي النبي ﷺ مفرقًا

بالأحرف السبعة وبالقراءات المتواترة، ولم يجمع النبي ﷺ القرآن في مكان واحد؛ لتتابع الوحي، ونزول آيات تنسخ آيات حكمًا أو لفظًا، كذلك إن ترتيب الآيات لم يكن على حسب النزول.

ومعنى الأحرف السبعة: أي سبعة أوجه من المعاني بألفاظ مختلفة، وإن شئت قلت سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، مثل قوله تعالى: ﴿ **إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً** ﴾ [يس: ٢٩] قرئت: "**إِنْ كَانَتْ إِلا زَقْيَةً وَاحِدَةً**"[1]، وقوله تعالى: ﴿ **فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[الجمعة: ٩] قرئت: "**فَامْضُوا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ**"[2]، وهكذا.

فلو نزل القرآن على حرف واحد؛ لشق ذلك على الأمة العربية، فقد كانت متعددة اللهجات، وما يسهل نطقه على البعض لا يسهل على البعض الآخر.

أما القراءات السبعة التي تُقرأ اليوم -كقراءة حفص، وورش، وما إلى ذلك- فهذه القراءات غير الأحرف كقوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ** ﴾ قرئت: "**وَأَوْصَى**"، و﴿ **نُنشِزُهَا** ﴾ قرئت "**ننشرُهَا**"، فهذه القراءة أيضًا نقلت متواترة عن النبي ﷺ، كذلك ﴿ **لِلْيُسْرَىٰ** ﴾ قرئت: "**لليُسُرى**"، وهكذا، وهي عشر قراءات.

ثانيًا: جمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: "**أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه: **إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ**

---

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (٣٩٩٢)، وصححه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (٢٩/١).

[2] أخرجه الشافعي رحمه الله في مسنده (٣٩٨)، وصححه ابن الأثير رحمه الله في شرح مسند الشافعي رحمه الله (١٨٣/٢).

صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهُ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ إِلَى آخِرِهِمَا، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنه"[1].

فانظروا رحمكم الله كيف اعتنى المسلمون بجمع القرآن والمحافظة عليه، فقد كان قبل أبي بكر رضي الله عنه محفوظًا في قلوب الرجال، والرقاع: جمع رقعة، قد تكون من جلد، أو قماش، أو ورق، والعُسُب: جمع عسيب، طرف الجريد العريض كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فيه، والأكتاف: جمع كتف، وهو العظام العريضة من أكتاف الإبل، والبقر، والغنم، واللِخاف: جمع لخفة وهي الحجارة الرقيقة، والأقتاب: جمع قتَبْ، وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

فخافوا أن يضيع شيء من هذا، فأشار عمر على أبي بكر رضي الله عنهما أن يجمع ذلك كله في مكان واحد، فلم يكتبوا آية وهم يجمعون إلا إذا اشترط فيها أن تكون في الصدور محفوظة ومكتوبة في عهد النبي ﷺ.

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٨٦).

وقد امتاز الجمع في عهد أبي بكر ﷺ بميزات؛ منها:

١. أنه اقتصر فيه على ما لم تنسخ تلاوته، وجرده من كل ما ليس بقرآن.

٢. أنه لم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.

٣. أنه كان مكتوبًا بجميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٤. أنه مرتب الآيات على الوضع الذي نقرؤه اليوم، ولكنه غير مرتب السور.

ثم لما اختلف الناس في عهد عثمان ﷺ، وأخذ هذا يقرأ بحرف وهذا يقرأ بحرف؛ خشي عثمان أن تفترق الأمة، فأرسل إلى حفصة ﷺ فأخذ الصحف، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، فجمعوا القرآن في مصحف وجعلوه على حرف قريش، وأرسل سيدنا عثمان ﷺ إلى كل مصر من الأمصار مصحفًا، فاجتمع الناس عليه.

وفي عهد مروان بن الحكم وبعد موت حفصة ﷺ، أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر أخي حفصة أن أرسل إلينا الصحف، فحرقها حتى لا يختلف الناس، وفي عهد عبد الملك ابن مروان أمر الحجاج أن يُشكل وينقط القرآن، فأمر الحسن البصري وابن يعمر فقاما بذلك.

اللهم صل وسلم وزد وبارك على محمد صلى الله عليه وسلم